□ عُلوُّ الهِمَّة في الصَّمْت وحِفْظ اللِّسَان □

اعلمْ - رحمنا الله وإيَّاك - « أنَّ اللسان من نِعَم الله العظيمة ولطائف صنْعه الغريبة ؛ فإنه صغيرٌ جِرْمُه ، عظيمٌ طاعتُهُ وجُرْمُه ؛ إذْ لا يستَبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللِّسان ، وهما غاية الطاعة والعصيان ، ثم إنه ما من موجود أو معدوم ، خالق أو مخلوق ، متخيَّل أو معلوم ، مظنون أو موهوم ، إلَّا واللسان يتناوله ويتعرَّض له بإثبات أو نفي ، فإن كلَّ ما يتناوله العِلْم يُعْرِب عنه اللسان ، إمَّا بحق أو باطل ، ولا شيء إلَّا والعلم متناوِل له ، وهذه خاصيَّة لا توجد في سائر الأعضاء ؛ فإن العيْن لا تصل إلى غير الألوان والصُّوَر ، والآذان لا تصل إلى غير الأصوات ، واليد لا تصل إلى غير الأجسام ، وكذا سائر الأعضاء .

واللسان رحْبُ المَيْدان ، ليس له مَرَدٌّ ، ولا لمجاله منتهى وحدّ ، له في الخير مجال رحْب ، وله في الشرِّ ذيْل سحب ، فمَن أطلق عَذْبة اللسان ، وأهمله مرخيَّ العَنان ، سلك به الشيطان في كلِّ ميْدان ، وساقه إلى شفا جُرُفٍ هارٍ ، إلى أن يَضطره إلى البوار ، ولا يكبُّ الناسَ في النار على مناخِرهم إلا حصائد ألسنتهم ، ولا ينجو من شرِّ اللسان إلَّا مَن قيَّده بلجام الشرع ، فلا يُطلقُه إلَّا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ، ويكفُّه عن كلِّ ما يخشى غائِلَتَه في عاجله وآجله . وعِلْم ما يُحمَدُ فيه إطلاق اللسان أو يُذَمُّ : غامِض عزيز ، والعمل بمقتضاه على مَن عرفه ثقيل عسير . وأعصى الأعضاء على الإنسانِ اللِّسانُ ، وقد تساهل الخلْق في الاحتراز عن آفاته وغوائله ، والحذَرِ من مصائده وحبائله ، وإنه أعظم آلة الشيطان في استغواء الإنسان »(١) .

قال الله تعالى : **﴿ قد أفلحَ المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللَّغو معرضون ﴾** [المؤمنون : ١ - ٣] .

---

(١) إحياء علوم الدين ٣ / ١١٨ .

وقال تعالى : ﴿ وإذا مرُّوا باللّغو مرُّوا كِرَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٢] .

مِلاكُ الخيْر: كفُّ اللسان:

عن معاذ رضي الله عنه قال: كنتُ مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحتُ يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقلتُ: يا رسول الله، أخبرني بعملٍ يُدخلُني الجنة ويُباعدني من النار؟ قال: «لقد سألتني عن عظيم، وإنه لَيسيرٌ على مَن يسَّره الله عليه؛ تعبدُ الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت». ثم قال: «ألا أدلُّك على أبواب الخير؟ الصومُ جُنَّة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل». قال: ثم تلا: ﴿**تتجافى جُنوبهم عن المضاجع**﴾ حتى بلغ ﴿**يعملون**﴾ ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر، وعموده، وذروة سنامه؟» قلتُ: بلى يا رسول الله. قال: «رأس الأمر الإسلام، وعمودُه الصلاة، وذروة سنامه الجهاد». ثم قال: «ألَا أخبرك بملاك ذلك كله؟» قلتُ: بلى يا نبيَّ الله. فأخذ بلسانه وقال: «كفَّ عليك هذا». فقلتُ: يا نبيَّ الله، وإنَّا لَمُؤَاخذون بما نتكلَّم به؟ فقال: «ثَكِلَتْكَ أُمُّك[1] يا معاذ؛ وهل يكبُّ الناس في النارِ على وجوههم- أو على مناخرهم- إلَّا حصائدُ ألسنتهم»[2].

أطايبُ الكلام تُورث سكنى أعالي الجنان ، وهي من رضوان الله تعالى :

عن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة غُرَفًا يُرىٰ ظاهرُها من باطنها ، وباطنُها من ظاهِرها ، أعدَّها الله تعالى لمن أطعم الطعام ، وألَانَ الكلام ، وتابع

---

(١) فقدتْكَ ، وفي « النهاية » : « ويجوز أن يكون مِن الألفاظ التي تجري على ألسنة العرب ، ولا يُراد بها الدعاء ، كقولهم : تَرِبَتْ يداك ، وقاتَلَكَ الله » .
هذا وإن كان دعاءً ؛ فهو طهور وزكاة ، وقربة له من الله تعالى يوم القيامة ؛ كما في حديث مسلم : « فأيّما أحد دعوتُ عليه من أمتي بدعوة ليسَ لها بأَهْل ؛ أن يجعلها له طهورًا وزكاة وقربة يقرِّبه بها منه يوم القيامة » .

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، وصحَّحه الألباني في إرواء الغليل برقم (٤١٣)، وصحيح سنن الترمذي برقم (٢١١٠)، وصحيح سنن ابن ماجه برقم (٣٢٠٩).

الصيام ، وصلَّى بالليل والناسُ نِيام »[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَطِبِ الكلام ، وأَفْشِ السلامَ ، وصِلِ الأرحام ، وصلِّ بالليل والناس نيام ، ثم ادخلِ الجَنَّة بسلام »[٢] .

وقال ﷺ : « إن الرجل لَيتكلَّم بالكلمة من رضوان الله تعالى ، ما كان يظنُّ أن تبلغ ما بلغت ، يكتُبُ الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإنَّ الرجل ليتكلَّم بالكلمة من سُخط الله ، ما كان يظنُّ أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله له بها سُخطه إلى يوم يلقاه »[٣] .

وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال : قلتُ : يا رسول الله ، حدِّثني بأمرٍ أعتصمُ به قال : « قلْ : ربيَ الله . ثم استَقِمْ » . قلت : يا رسول الله ، ما أخوفُ ما تخاف عليّ ؟ فأخذ بلسان نفسه ، ثم قال : « هذا »[٤] .

ومِن عُلوِّ الهِمَّة طُول الصَّمْتِ إلَّا عن خيْر :

قال رسول الله ﷺ : «عليك بُحسْن الخُلُق ، وطول الصمْت ، فوالذي نفسي بيده ، ما تجمَّل الخلائق بمثْلِهما »[٥] .

---

(١) حسن : رواه أحمد ، وابن حبان ، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي مالك الأشعري ، والترمذي عن علي ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢١١٩ .

(٢) صحيح : رواه ابن حبان ، وأبو نعيم في الحلية ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٠٣٠ ، والصحيحة رقم ٥٦٩ ، ١٤٦٦ .

(٣) صحيح : أخرجه مالك ، والترمذي ، وابن ماجه ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة برقم ٨٨٨ .

(٤) صحيح : رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح . وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

(٥) حسن : أخرجه أبو يعلى عن أنس ، وابن أبي الدنيا ، والبزار ، والطبراني في الأوسط ، والبيهقي في شعب الإيمان أيضًا عن أنس ، وأبو الشيخ عن أبي ذرٍّ وأبي الدرداء ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٣٩٢٧ .

عن أبي موسىٰ رضي الله عنه قال : قلتُ : يا رسول الله ، أيُّ المسلمين أفضل ؟ قال : « مَن سَلِم المسلمون من لسانه ويده». متفق عليه .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « المسْلِم مَن سَلَمَ المسلمون من لسانه ويده » . رواه البخاري ومسلم .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألتُ رسول الله ﷺ ، فقلتُ : يا رسول الله ، أيُّ الأعمال أفضل ؟ قال : « الصلاة على ميقاتها » . قلت : ثم ماذا يا رسول الله ؟ قال : « أن يسلم المسلمون مِن لسانك »[(١)] .

وعن البَرَاء بن عازب رضي الله عنه قال : جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، علِّمني عملًا يُدخلني الجنَّة . قال : « إنْ كنتَ أقصرتَ الخُطبة لقد أعرضتَ المسألة ؛ أَعْتِقِ النسمة ، وفُكَّ الرقبة ، فإن لم تُطِقْ ذلك ، فأطعمِ الجائع ، واسقِ الظمآن ، وأْمُرْ بالمعروف ، وإنْه عن المنكر ، فإن لم تُطِقْ ذلك ، فكُفَّ لسانك إلَّا عن خير »[(٢)] .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قلتُ : يا رسول الله ، ما النجاة ؟ قال : « أمسِكْ عليكَ لسانَك ، وَلْيَسَعْكَ بيتُك ، وابْكِ على خطيئتك »[(٣)] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال ﷺ : « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبُه حتى يستقيم لسانه ، ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جارُهُ بوائقَه »[(٤)] .

وعن معاذ بن جبَل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنك

---

(١) إسناده صحيح : رواه الطبراني ، وصدْرُه في الصحيحين ، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

(٢) صحيح : رواه أحمد وغيره ، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

(٣) صحيح : أخرجه أحمد والترمذي ، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة ، رقم (٨٩٠) .

(٤) صحيح : رواه أحمد وغيره ، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

لن تزال سالمًا ما سكتَّ ، فإذا تكلَّمتَ كُتِبَ لك أو عليك »[١] .

وعن معاذٍ رضي الله عنه قال : يا رسول الله ، أوصنِي . قال : « اعبدِ الله كأنَّك تراه ، واعددْ نفسَك في الموتى ، وإنْ شئْتَ ، أنْبأْتُكَ بما هو أمْلَك بك من هذا كله » . قال : « هذا » . وأشار بيده إلى لسانه[٢] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أصبح ابنُ آدم فإن الأعضاء كلها تُكفِّر اللسانَ ؛ فتقول : اتَّقِ الله فينا ، فإنما نحن بك ، فإنِ استقمتَ استقمْنا ، وإن اعوجَجْتَ اعوجَجْنا »[٣] .

وأخرج البخاري عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن يضمنُ لي ما بين لَحْيَيْه[٤] وما بين رِجليه ، أضمنُ له الجنة ؟ » .

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال : قال ﷺ : « ليس شيء من الجسد إلَّا يشكو ذَرَبَ اللسانِ[٥] على حِدَّته »[٦] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « مَن صمَتَ نجا »[٧] .

---

(١) صحيح : صحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا بإسناد جيِّد ، كما قال المنذري .

(٣) صحيح : أخرجه الترمذي ، ورواه الترمذي موقوفًا على عمَّار بن زيد ، وقال : هذا أصحُّ . وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب .

(٤) هو اللسان . واللَّحيان : العظمَان اللذانِ يَنْبُت عليهما الأسنان ، وما بين رجلَيْه : أي الفرْج .

(٥) ذَرَبُ اللسان : حِدَّته ، يُقال:ذرَب لسانُ الرجل يذرَب إذا فسد ، وقيل : الذَّرِبُ اللسان : هو الحادُّ اللسان .

(٦) وفي رواية : «ليس شيء من الجسد إلّا يشكو إلى الله اللّسانَ على حِدّته». رواه أبو يعلى في مسنده ، وابن السني في عمل اليوم والليلة ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة رقم ٥٣٥.

(٧) صحيح : رواه أحمد والترمذي ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة رقم ٥٣٥ ، وصحيح الجامع رقم ٦٢٤٣ .

وصح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « والذي لا إله غيره ؛ ما على ظهْر الأرض من شيء أحوج إلى طول سجنٍ من لسان » .

وعن أسلم ؛ أن عمر رضي الله عنه دخل يومًا على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو يجبذُ لسانه ، فقال عمر : مَه ، غفر الله لك . فقال له أبو بكر : إن هذا أوْرَدَني بِشرِّ الموارد .

أقسَامُ الكَلام :

« ويدلُّك على فضْل الصَّمْت أمْرٌ ، وهو أن الكلام أربعة أقسام :

١ - قسم هو ضَررٌ محْض . ٢ - وقسم هو نفع محْض .

٣ - وقسم هو ضَررٌ ومنفعة . ٤ - وقسم ليس فيه ضررٌ ولا منفعة .

أمَّا الذي هو ضرر محْض فلا بدَّ من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر .

وأمَّا ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فُضُول ، والاشتغال به تضييع زمان ، وهو عيْن الخسران ، فلا يبقى إلا القسم الرابع ؛ فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي رُبع ، وهذا الربع فيه خطَرٌ ؛ إذ يمتزجُ بما فيه إثمٌ ؛ من دقيق الرياء والتصنُّع والغيبة وتزْكِيَة النفس ، وفضول الكلام ، امتزاجًا يخفى دركُه ، فيكون الإنسان به مخاطِرًا . ومَن عرَف دقائق آفاتِ اللسان ، عَلِمَ قطْعًا أن ما ذكره ﷺ هو فصلُ الخطاب ؛ حيث قال: «مَن صمَت نجا». فلقد أُوتي - والله - جواهرَ الحِكَم، وجوامِعَ الكَلِم، ولا يعرِفُ ما تحت آحاد كلماتِه من بحار المعاني إلا خواصُّ العلماء »[1].

الصمتُ يُتعَلّمُ : وهاكَ أمثلةً من حياة الطيّبين :

مورّق العجْلي :

قال رحمه الله : تعلَّمتُ الصمتَ في عشر سنين ، وما قلتُ شيئًا قطُّ

(١) الإحياء ٣/١٢١ .

إذا غضبتُ ، أندمُ عليه إذا زال غضبي[١] .

« قيل : أقام المنصور بن المعتزّ لَمْ يتكلَّم بكلمةٍ بعد العشاء الآخرة ، أربعين سنة »[٢] .

إبراهيمُ بن أدهم :

قال أبو إسحاق الفزاري : كان إبراهيم بن أدهم رحمه الله يُطيل السكوت ، فإذا تكلَّم ربَّما انبسط . قال : فأطال ذات يومٍ السكوت ، فقلتُ : لو تكلَّمتَ ؟ فقال : الكلام على أربعة وُجوه : فمِن الكلام كلامٌ ترجو منفعته ، وتخشى عاقبته ، والفضل في هذا : السلامة منه . ومن الكلام كلامٌ لا ترجو منفعته ولا تخشى عاقبته، فأَقلُّ ما لك في تَرْكه خِفَّة المؤْنَة على بدنك ولسانك. ومن الكلام كلام لا ترجو منفعته وتأمن عاقبته ، فهذا قد كفِيَ العاقلُ مُؤْنته . ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتأمن عاقبته ، فهذا الذي يجب عليك نشرهُ . قال خلف بن تميم : فقلتُ لأبي إسحاق : أَرَاهُ قد أَسقط ثلاثة أرباع الكلام ؟ قال : نعم[٣] .

عن أمِّ حبيبة زوج النبي ﷺ قالت : قال رسول الله ﷺ : « كل كلام ابن آدم عليه لا له ، إلَّا أمرٌ بمعروف ، أو نهيٌ عن منكر ، أو ذكْر الله »[٤].

وقال محمد بن النضر الحارثي: كان يُقال: كثرة الكلام تذهب بالوقار.

وعن بكر بن ماعز ، عن الربيع بن خُثيم رحمه الله قال : يا بكر بن ماعز ،

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٥٣/٤ - ٣٥٥ .

(٢) الإحياء ١٢١/٣ .

(٣) الصمت وحفْظُ اللسان لابن أبي الدنيا- تحقيق : د . محمد أحمد عاشور ، ص٥٠- دار الاعتصام .

(٤) صحيح : رواه الترمذي وابن ماجه وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ، وصحيح الترمذي ، وصحيح ابن ماجه .

اخزنْ عليك لسانك ، إلّا مما لك ولا عليك .

الربيعُ بن خُثيْم : لا يتكلَّم بكلامِ الدنيا عشرين سنة :

قال إبراهيم التيْمي : أَخْبَرَني مَن صحِبَ الربيع بن خُثيم عشرين سنة ، فلم يتكلَّم بكلام لا يصعد[1] .

وعن أبي حيَّان التيمي ، عن أبيه قال : ما سمعتُ الربيع بن خثيم يذكر شيئًا مِن أمر الدنيا قطُّ .

قال الغزالي : « قيل : ما تكلَّم الربيع بن خُثيم بكلامِ الدنيا عشرينَ سنة ، وكان إذا أصبح وضَع دواة وقِرطاسًا وقلمًا ، فكلُّ ما تكلَّم به كتَبَه ، ثم يحاسب نفسه عند المساء »[2] .

إبراهيم التيمي : لا يَخوض في شيء من أمْر الدنيا :

قال العوَّام بن حوشب : ما رأيتُ إبراهيم التيمي رافعًا رأسه إلى السماء في الصلاة ولا في غيرها ، ولا سمعتُه قطُّ يخوض في شيء من أمر الدنيا[3] .

« وعن أبي عبيدٍ قال : ما رأيتُ رجلًا قطُّ أشدَّ تحفُّظًا في مَنْطقهِ من عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه .

وقال رجل من « تيْم الله » ، وكان قد جالَس الشعبي وإبراهيم ، قال : ما رأيتُ أحدًا أَمْلَكَ للسانه من طلحة بن مُصَرِّف .

وقال ميمون بن سياه : ما تكلَّمتُ بكلمة منذ عشرين سنة ، لم أتدبرها قبل أن أتكلَّم بها ، إلَّا ندمتُ عليها ، إلّا ما كان من ذكْر الله .

---

(١) الصمت لابن أبي الدنيا ص٥٠ .

(٢) الإحياء ٣/١٢١ .

(٣) الصمت وحفظ اللسان ص٢١٩ .

وقال كعب : قلَّة المنطق حُكم عظيم ، فعليكم بالصمتِ ؛ فإنه رعةٌ حَسَنة ، وقلَّة وزر ، وخِفَّة من الذنوب »[١] .

عبد الملك بن أبجر :

قال عنه الثوري : هو من الأبرار . وعدَّه في خمسة بالكوفة يزدادون كلَّ يوم خيرًا .

« قال الصلت بن بسطام التيمي : قال لي أبي : الزمْ عبدَ الملك بنَ أبجر ، فتعلَّمْ من توقِّيهِ للكلام ، فما أعلمُ بالكوفة أشدَّ تحفظًا للسانه منه .

وقال أبو خالد الأحمر عن مِسعر بن كِدام : لم يكن في أترابه أطول صمْتًا منه . يعني مسعرًا .

وقال سفيان بن عيينة : طول الصمت مفتاح العبادة .

وقال أرطأة بن المنذر : تعلَّم رجلٌ الصمتَ أربعين سنة ، بحصاة يضعها في فِيهِ ، لا ينزعها إلَّا عند طعام أو شراب أو نوْم .

وقال الفُضَيل بنُ عياض : كان بعضُ أصحابنا يَحْفَظ كلامه من الجمعة إلى الجمعة .

وعن حسَّان بن عطية قال : كان شدَّاد بن أوس في سفر ، فنزل منزلًا ، فقال لغلامه : ائتنا بالسُّفرة نعبثُ بها ، فأنكرتُ عليه ، فقال : ما تكلَّمتُ بكلمة منذ أسلمتُ إلَّا وأنا أُخطِمُها وأزمها ، إلَّا كلِمَتي هذه ، فلا تحفظوها عليّ .

وقال جارٌ لضيغم بن مالك : ما سمعتُ أبا مالك يذكر من الشّعْر إلَّا

---

(١) الصمت ص٢٢٠ - ٢٢١ ، ورعة : مأخوذة من الورَع وهو الكفُّ عن القبْح وسوءِ الأدب .

بيتًا واحدًا :

قَدْ يَخزن الوَرِعُ التقيّ لسانَهُ   حذَرَ الكلامِ وإنه لمُفَوَّهُ »(١)

« قال مالك بن دينار : لو كُلِّف الناس الصحف ، لَأَقلُّوا المنطق .

وقال الحسن بن حُيي بن صالح : إني لَأعرف رجلًا يَعُدُّ كلامه . وكانوا يرون أنه هو .

وقال محارب : صحبنا القاسم بن عبد الرحمن ، فغَلَبَنا بطول الصمت ، وسخاء النفس ، وكثرة الصلاة .

وعن الأعمش ، عن إبراهيمَ قال : كانوا يجلسون ، فأطولهم سكوتًا : أفضَلُهم في أنفسهم .

وقال فضيل بن عِياض رحمه الله : ما حجّ ، ولا رباطٌ ، ولا اجتهاد ، أشدَّ من حبس اللسان ، ولو أصبحتَ يُهِمُّكَ لسانُك ، أصبحتَ في غمٍّ شديد .

وقال رحمه الله : سجْن اللِّسانِ سجن المؤمن ، وليس أحد أشدَّ غمًّا ممَّن سجَن لسانه .

وعن عمر بن عبد العزيز قال : إذا رأيتم الرجل يُطيل الصمْتَ ويهرب من الناس ، فاقتربوا منه ؛ فإنه يُلَقَّن الحكمة .

وقيل لداود المديني - من أهل مرو -: لِمَ لا تتكلَّم ؟ فسكت طويلًا ، ثم رفع رأسه ، كأنه غائب ، فقيل له : ألا تتكلم ؟ قال : أنتظر رسولَ ربِّ العالمين ، وأنا مفكِّر في الجواب ، فالذي يكون مشغولًا بذلك كيف يقدر أن يتكلَّم ؟!

وقال رجلٌ لعبد الله بن المبارك - رحمه الله -: ربَّما أردتُ أنْ أتَكَلَّمَ بكلام حسن ، أو أُحدِّث بحديث فأسكتُ ، أريد أن أُعوِّد نفسي السكوت . قال : تُؤْجَرُ في ذلك وتَشْرُف به »(٢).

(١) الصمت ص٢٢٠ - ٢٢٥ .

(٢) الصمت وحفظ اللسان لابن أبي الدنيا ص٢٨١، ٢٨٣، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٠٢، ٣٠٣ .

وقال عبد الله بن أبي زكريا : « عالجتُ الصمتَ عشرين سنة ، فلم أقدر منه على ما أريد »[١] .

« وعن مسلم بن زياد قال : كان عبد الله بن أبي زكريا ، لا يكاد أن يتكلَّم ، حتى يُسْأل ، وكان من أبشِّ الناس وأكثرهم تبسُّمًا .

وعن الوليد بن سليمان بن السائب : كان عبد الله بن أبي زكريا إذا خاض جلساؤه في غير ذِكْر الله ، رأيته كالساهي ، فإذا خاضوا في ذِكْر الله ، كان أحسن الناس استماعًا »[٢] .

قال الحكماء : الصمتُ على خمْس : على علْمٍ ، وحِلْمٍ ، وعِيٍّ ، وجهلٍ ، وعظيمة !!

وقال سعيد بن عبد العزيز : كان عبد الرحمـٰن أخو أبي مخرمة يمكث أربعة أشهر لا يُكلم الناسَ ، وإذا أرادَ حاجَةً كتب إلى أهلِهِ : افعلوا كذا وكذا[٣].

وعن خاقان بن عبد الله قال : سمعتُ ابن المبارك ، وسُئل عن قوْل لقمان لابنه : « إنْ كانَ الكلامُ مِن فضَّة ، فإنَّ الصمتَ مِن ذَهَب ؟ » ، فقال عبد الله : لو كان الكلام بطاعة الله من فضة ؛ فإن الصمت عن معصية الله من ذهب .

عبد الله بن عَـوْن :

قال خارجة بن مصعب : « صحبتُ ابن عوْن ثنتي عشرة سنة ، فما رأيتُه تكلَّم بكلمة كتبَها عليه الكِرَامُ الكاتِبون »[٤] .

وعند الذهبي في السير (٣٦٦/٦) : قال خارجة بن مصعب : صحبتُ

---

(١) الحلية ١٤٩/٥ .

(٢) الصمت ص٣٠٥ .

(٣) الصمت ص٣٠٨ .

(٤) الصمْت وحفظ اللسان ص٣١٢ .

ابن عون أربعًا وعشرين سنة ، فما أعلم أنَّ الملائكة كتبتْ عليه خطيئة .

وعن سلام بن أبي مطيع قال : كان ابن عون أملكَهم للسانه .

كَفُّ اللِّسانِ عنْ حصائده وآفَاتِهِ من أفضل الجهاد :

عن عبد الله بن مسعود قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « أكثر خطايا ابن آدم في لسانه »[(١)] .

وعن فضالة بن عبيد قال : قال رسول الله ﷺ : « المجاهدُ مَن جاهَد نفسه في طاعة الله »[(٢)] .

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل الجهاد أنْ تجاهد نفسك وهواكَ في ذات الله عزَّ وجلَّ »[(٣)] .

وقال ﷺ : « أفضل المؤمنين إسلامًا : مَن سلم المسلمون من لسانه ويده ، وأفضل المؤمنين إيمانًا : أحسنهم خُلُقًا ، وأفضل المهاجرين : من هجَر ما نهىٰ الله تعالى عنه ، وأفضل الجهاد : مَن جاهد نفسه في ذات الله عز وجل »[(٤)] .

واللسان مَجْمَع الأهواء ، وجهاده من أشقِّ الجهاد ، وجهاد النفس أصعب من جهاد البدَن ؛ لأن البدَن مأمور ، والنَّفْس أمَّارة بالسوء .

---

(١) صحيح : جزء من حديث أخرجه الطبراني وابن عساكر ، وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٥٣٤ .

(٢) جزء من حديث صحيح أخرجه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٥٤٩ .

(٣) صحيح : رواه أبو نعيم في الحلية والديلمي ، وصححه الألباني في الصحيحة برقم ١٤٩٦ .

(٤) صحيح: أخرجه الطبراني في الكبير وابن نصر نحوه في « الصلاة » وصححه الألباني في الصحيحة رقم ١٤٩١ .

قال محمد بن واسع لمالك بن دينار : يا أبا يحيىٰ ، حفظ اللسان أشدُّ على الناس مِن حفظِ الدينار والدِّرهم .

عَالي الهِمَّة مُطهِّرٌ لسانه عن حصادِه وآفاتِه :

وعالي الهمَّة في حفظ لسانه .. يعرف آفاتِ اللِّسان جليلَها ودقائقها .. يعرف حصادَ الألسُن فيطهِّر لسانَه منه .. ويُباعد لسانه عنها بُعْدَ ما بين المشرق والمغرب .

عالي الهِمَّة لا يتكلَّم فيما لا يَعنيه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مِن حُسْن إسلام المرء تَرْكُهُ ما لا يَعنيه »[1] .

« وقال الأوزاعي : « كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أمَّا بعد ؛ فإنَّ مَن أكْثَر ذِكْرَ الموت ، رضي من الدنيا باليَسير ، ومَن عَدَّ كلامه مِن عمله قلَّ كلامُه إلّا فيما يَعنيه » .

فقد يتكلَّم المَرْءُ فيما هو مباح لا ضرر عليه فيه ، ولا على مسلم أصلًا ، إلَّا أنه يتكلَّم بما هو مستغنٍ عنه ولا حاجة به إليه ، فهو بهذا مضيِّع به زمانَه ، وهو محاسبٌ على عَمَل لسانه ، ومستبدلٌ الذي هو أدنىٰ بالذي هو خيْر ؛ لأنه لو صرف زمان الكلام إلى الفكر ، ربَّما كان ينفتح له من نفحاتِ رحمة الله عند الفكر ما يعظِّم جَدْواه ، ولو هلّل اللهَ سبحانَه وذكَرَهُ وسبّحه ، لَكان خيرًا له ، فكم من كلمة يبني بها قصرًا في الجنة ، واللِّسان شبَكة يقدر أن يقتنص

---

(١) صحيح : رواه الترمذي . وابن ماجة عن أبي هريرة ، وأحمد ، والطبراني في الكبير عن الحسين بن علي ، والحاكم في الكنىٰ ، عن أبي بكر الشيرازي وعن أبي ذرٍّ ، والحاكم في تاريخه عن علي ، والطبراني في الصغير عن زيد بن ثابت ، وابن عساكر عن الحارث بن هشام ، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٧٨٧ .

بها الحُورَ العِين ، فإهماله ذلك وتضْييعهُ : خُسْرانٌ مُبين ، ومَن قَدَر على أن يأخذ كَنْزًا مِن الكنوز فأخذ مكانه مدرًا لا ينتفع بها، كان خاسِرًا خُسْرانًا مبينًا.

وحدُّ الكلام فيما لا يَعنيك : أن تتكلَّم بكلامٍ لو سكتَّ عنه ، لمْ تأثم ولم تستضرّ به في حالٍ ولا مآلٍ .

مثاله : أن تجلس مع قوم ، فتذكر لهم أسفارك وما رأيتَ فيها من جبال وأنهار ، وما وقع لك من الوقائع ، وما استحسنتَه من الأطعمة والثياب ، فأنت إذا بالَغتَ في الجهاد حتى لا يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ، ولا تزكية نفس - فأنت مع ذلك مضيِّع لزمانك ، وأنّى تسلَمُ من الآفات ؟! .

ومِن جملتها : أن تسأل غيرك عما لا يعنيك ؛ فأنت بالسؤال مضيِّع وقتَكَ ، وقد ألجأتَ صاحبَك بالجواب إلى التضييع ، هذا إذا كان الشيء مما يتطرّق إلى السؤال عنه آفة ، وأكثر الأسئلة فيها آفات ؛ فإنك تسأل غيرك عن عبادته مثلًا ، فتقول له : هل أنت صائم ؟ فإن قال : نعم . كان مظهِرًا لعبادته ، فيدخل عليه الرياء ، وإن لم يدخلْ سقطتْ عبادتُهُ من ديوان السرِّ ، وعبادة السرِّ تفضُل عبادة الجهْر بدرجات . وإن قال : لا . كان كاذِبًا ، وإن سكَتَ كان مستحقرًا لك وتأذَّيْتَ به ، وإنِ احتال لمدافعة الجواب افتقر إلى جهد وتَعَبٍ فيه ، فقد عرّضْتَه بالسؤال : إما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعب في حيلة الدفْع ، وكذلك سؤالك عن سائر عباداته »[1] .

«عن مجاهد قال: سمعتُ ابن عباس يقول: خمسٌ؛ لهنَّ أحسن من الدُّهم المُوقَفَة : لا تتكلَّم فيما لا يَعنيك ، فإنه فضْلٌ ، ولا آمَنُ عليك الوزر . ولا تتكلَّمْ فيما يَعْنيك حتى تجد له موضعًا ؛ فإنه رُبَّ متكلِّمٍ في أمرٍ يَعنيه ، قد وضَعَه في غير موْضعه فيعنت . ولا تمارِ حليمًا ولا سفيهًا ؛ فإن الحليم يَقْليكَ ،

(١) الإحياء ص١٢٢ ، ١٢٣ .

وإن السفيه يُؤْذيك . واذكرْ أخاك إذا تغيَّبَ عنك بما تحبُّ أن يذكُرَكَ به ، واعْفِهِ عمَّا تحبُّ أن يَعفيَك منه . واعملْ عمل رجلٍ يرىٰ أنه مُجازًىٰ بالإحسان ، مأخوذ بالإجرام »[١] .

وقال مُوَرِّق العجْلي : « أمرٌ أنا أَطلُبه منذ عشر سنين ، لم أقدر عليه ، ولستُ بتاركٍ طلَبه .. قالوا : ما هو يا أبا المعتمِر ؟ قال : الصَّمْتُ عمَّا لا يَعنيني »[٢] .

« وقال أبو جعفر محمد بن علي : كفىٰ عيبًا أن يُبصِرَ العبدُ من الناس ، ما يعمىٰ عليه من نفسه ، وأن يُؤذي جليسَه فيما لا يَعنيه .

وعن زيد بن أسلم قال : دُخِل علىٰ ابن أبي دُجانة وهو مريض ، ووجهه يتهلّل ، فقال : ما من عملي شيءٌ أوثق في نفسي من اثنتين : لم أتكلَّم فيما لا يَعنيني ، وكان قلبي للمسلمين سليمًا »[٣] .

وعالي الهِمَّة لا يَخوضُ في فُضولِ الكلام :

قال تعالى : ﴿ **لا خيرَ في كثيرٍ من نجْواهم إلَّا مَن أمَرَ بصدَقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناس ...** ﴾ [النساء : ١١٤] .

وقال رسول الله ﷺ : « طوبىٰ لمن أمسَكَ الفضلَ من لسانه ، وأنفق الفضل من ماله »[٤].

---

(١) الصمت وحفظ اللسان ص٧٥ .
(٢) الزهد لأحمد ص٣٠٥ ، وأبو نعيم في الحلية ٢/٢٣٥ بلفظ : « أن أقولَ ما لا يعنيني » . والصمت ص٧٧ .
(٣) الصمت صـ ٧٥ ، ٧٧ .
(٤) حسن : أخرجه البغوي وابن قانع في معجمي الصحابة ، والبيهقي من حديث ركْب المصريِّ ، وقال البغوي : لا أدري : أسمع من النبي ﷺ أم لا . وقال ابن منده : مجهول لا نعرف له صحبه . وقال ابن عبد البر : إنه حديث حسن .

وفضول الكلام مذموم ، وهذا يتناول الخوْضَ فيما لا يَعني ، والزيادة فيما يعنى على قدْر الحاجة ، فإنَّ مَن يعنيه أمرٌ يُمكنه أن يذكره بكلام مختصر ، ومهما تأدَّى مقصوده بكلمةٍ واحدةٍ فذكر كلمتين فالثانية فضول ، أي فضْل عن الحاجة ، وهو أيضًا مذموم ، وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر .

وقال عطاء بن أبي رباح لمحمَّد بن سُوقة وجماعة : « يا بَنِي أخي ، إنَّ مَن كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ، وكانوا يعدون فضول الكلام ، ما عدا كتاب الله ، أن تقرأه ، أو تأمر بمعروف ، أو تنهى عن منكر ، أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بدَّ لك منها ، أتنكرون : ﴿ **وإنَّ عليكم لحافظين كِرامًا كاتبين** ﴾ [الانفطار : ١٠ ، ١١] ، ﴿ ... **عن اليمين وعن الشمال قَعيدٌ * ما يلفِظ من قول إلَّا لديه رقيب عتيد** ﴾ [ق : ١٧ - ١٨] ؟! أمَا يستحي أحدكم ، أنه لو نشرتْ عليه صحيفته التي أملى صدرَ نهاره ، كان أكثر ما فيها ، ليس من أمْر دينه ، ولا دُنياه » .

وقد مرَّ بنا حديث رسول الله ﷺ الذي رواه عنه بلال بن الحارث : « إنَّ الرجل ليتكلَّم بالكلمة .... » الحديث . وكان علقمة يقول : كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحارث رضي الله عنه .

وعن الحسن قال : « يا ابن آدم ، بُسطَتْ لك صحيفة ، ووُكِّل بك ملَكَانِ كريمانِ يكتبانِ عمَلَكَ ، فأَكْثِرْ ما شئتَ أو أقِلَّ » .

وكان رحمه الله يقول : « من كثر ماله كثرت ذُنُوبه ، ومن كثر كلامه كثر كَذِبُه ، ومن ساءَ خلقه عَذَّب نفسه » .

وكان طاووس يعتذر مِن طول السكوت ، ويقول : إني جَرَّبتُ لساني فوجدتُه لئيمًا راضِعًا(١) .

---

(١) قال ابن الأعرابي : الراضِع والرضيع : الخسيس من الأعراب ، الذي إذا نزل به الضيف رضَع بفيه شاته ؛ لئلَّا يسمعه الضيف فيطلب اللبن .

وعن الشعبي قال : ما من خطيب يخطب ، إلّا عُرِضَتْ عليه خطبتُه يوم القيامة .

وقال عمر بن عبد العزيز : إنه لَيمنَعُني من كثير الكلام ، مخافَةُ المباهاة .

وكان الربيع بن خُثيم يقول : لا خير في الكلام إلّا في تسْع : تهليل ، وتكبير ، وتسبيح ، وتحميد ، وسؤالك من الخير ، وتعوُّذُك من الشرِّ ، وأمرُك بالمعروف ، ونهيك عن المنكر ، وقراءتك للقرآن .

وقال إبراهيم التيمي : المؤمنُ إذا أراد أن يتكلَّم نظر ، فإن كان كلامه له تكلَّم ، وإلّا أمسك عنه ، والفاجر إنما لسانه رِسْلًا رِسْلًا[١] .

عالي الهِمَّة لا يخوض في الباطل :

قال الله تعالى حكاية عن أهل النار : ﴿ **وكنَّا نخوضُ مع الخائضين** ﴾ [المدثر : ٤٥] .

وقال تعالى : ﴿ **فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره إنكم إذًا مثلُهم** ... ﴾ الآية [النساء : ١٤٠] .

وقال ﷺ : « إنَّ الرجل ليتكلَّم بالكلمة يُضحِكُ بها جلساءَه يهوي بها أبعد من الثريَّا »[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل لَيَتَكَلَّم بالكلمة لا يرى بها بأسًا ،يهوي بها سبعين خريفًا في النار »[٣] .

---

(١) أي : كان الكلام على لسانه سهلًا ومتهاونًا فيه .

(٢) سنده حسن : أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة ، وحسَّن سنده العراقي في تخريج الإحياء .

(٣) أخرجه الشيخان والترمذي ، وابن ماجه ، والحاكم .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : « أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا في الباطل »[(١)] .

« والخوض في الباطل هو الكلام في المعاصي؛ كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفُسَّاق ؛ فإنَّ كلَّ ذلك مما لا يحلُّ الكلام فيه وهو حرام . وأنواع الباطل لا يمكن حصْرُها لكثرتها وتفنُّنها ، وفي هذا الجنس تقعُ كلمات يَهلك بها صاحبها وهو يستحقرها . ويدخل فيه الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة ، وما جرىٰ من قتال الصحابة ، على وجه يُوهم الطعْن في بعضهم .

قال ابن سيرين : كان رجلٌ من الأنصار يمرُّ بمجلسٍ لهم فيقول لهم : توضَّئوا ؛ فإن بعضَ ما تقولون شرٌّ من الحَدَث »[(٢)] .

وعالي الهِمَّة أبعدُ الناسِ عنِ المِرَاء والجِدَال :

عن أبي أُمَامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا زعيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنة لمن ترَك المِرَاءَ وإن كان مُحِقًّا ، وببيتٍ في وسَطِ الجنة لمن ترَك الكذِب وإن كان مازِحًا ، وببيتٍ في أعلىٰ الجنة لمن حَسُن خُلُقه »[(٣)] .

وقال رسول الله ﷺ : « ما ضلَّ قوم بعد هدًى كانوا عليه ، إلا أُوتوا الجدَل »[(٤)] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني موقوفًا على ابن مسعود بسندٍ صحيح ، كما قال العراقي في تخريج الإحياء .

(٢) الإحياء ١٢٥/٣ .

(٣) صحيح : رواه أبو داود والضياء عن أبي أمامة ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٤٧٧ ، وصحَّحه في السلسلة الصحيحة رقم ٢٧٣ .

(٤) حسن : رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن أبي أمامة ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٥٠٩ .

وقال ﷺ : « المراءُ في القرآنِ كُفْرٌ »[١] .

وقال أبو الدرداء : كفىٰ بكَ إثمًا أن لا تزال مماريًا .

وقال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينَه عُرْضَةً للخصومات أكثر التنقُّل .

وحدُّ المراء هو : كلُّ اعتراضٍ على كلام الغيْر بإظهار خلَلٍ فيه ؛ إمَّا في اللفظ ، وإمَّا في المعنىٰ ، وإمَّا في قصْد المتكلِّم ، وترْك المراء بترْك الإنكار والاعتراض ، فكلُّ كلام سمعتَه ؛ فإنْ كان حقًّا فصدق به ، وإن كان باطلًا أو كَذِبًا ولم يكن متعلِّقًا بأمور الدين ، فاسكُتْ عنه .

وأمَّا المجادَلة ؛ فعبارة عن قصد إفحام الغيْر وتعجيزه وتنقيصه .

قال أبو حنيفة لداود الطائيِّ : لِمَ آثرتَ الانزواءَ ؟ قال : لأجاهد نفسي بترْك الجدال . فقال : احضرِ المجالس واستمع ما يُقال ، ولا تتكلّم . قال : ففعلتُ ذلك ، فما رأيتُ مجاهدة أشدَّ عليَّ منها .

وعن محمد بن واسع قال : رأيتُ صفوانَ بنَ مُحرِز في المسجد ، وقريبًا منه ناس يتجادلون ، فرأيتُه قام فنفض ثيابه ، وقال : إنما أنتم جَرَبٌ ، إنما أنتم جَرَب .

وقال عمر بن عبد العزيز : إذا سمعتَ المراء فاقصدْ .

وسمع الربيع بن خثيم رجلًا يُلاحي رجلًا ، فقال : مَهْ !! لا تَلفِظْ إلّا بخير ، ولا تقلْ لأخيك إلَّا ما تحبُّ أن تسمعه من غيرك ؛ فإن العبد مسئول عن لفظه محصًى عليه ذلك كلِّه ؛ ﴿ **أحصاه الله ونَسُوه** ﴾ [المجادلة : ٦] .

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « خرجتُ لأخبرَكم بليلةِ القدْر ، فتلاحىٰ فلانٌ وفلانٌ فرُفعتْ ، وعسى أن

---

(١) رواه أبو داود وابن حبان والحاكم ، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب وصحيح الجامع رقم ٦٥٦٣ .

يكون خيرًا لكم ، فالتمسُوها في التاسعة والسابعة والخامسة » . رواه البخاري .

وعالي الهِمَّة لا يخاصِمُ :

والخصومة وراء الجدال والمراء ، وهي لجاجٌ في الكلام ليُستوفَىٰ به مالٌ أو حقٌّ مقصود ، وذلك تارة يكون ابتداءً وتارة يكون اعتراضًا ، والمراء لا يكون إلّا باعتراضٍ على كلام سبَق .

قالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ : « إن أبغضَ الرجال إلى الله الألدُّ الخَصِمُ » . رواه البخاري .

وقال أبو جعفر محمد بن علي : إياكم والخصومة ؛ فإنها تمْحقُ الدين .

وقال رحمه الله : لا تجالسوا أصحاب الخصومات ؛ فإنهم يخوضون في آياتِ الله .

وعن فضيل ؛ قال إبراهيم : ما خاصمتَ ؟ قلتُ : لا .. قال : قطٌّ ؟ قلتُ : قطٌّ .

وأقلُّ ما يفوته في الخصومة طيبُ الكلام ، واللهُ تعالى يقول : ﴿ **وقولوا للناس حُسْنًا** ﴾ .

قال ابن عباس : لو قال لي فرعون خيرًا ، لَرددتُ عليه .

والكلام اللَّيِّن يغسل الضغائن المستكنَّة في الجوارح .

قال بعض الحكماء : كلُّ كلام لا يُسخِطُ ربَّك إلا أنك تُرضي به جليسَك ، فلا تكنْ به عليه بخيلًا ؛ فإنه لعلَّه يعوِّضك منه ثواب المحسنين(١) .

وعالي الهِمَّة أبعدُ الناس عن التقعُّرِ في الكلامِ والتشدُّق فيه وتكلُّف السَّجْع :

عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « هلَكَ المتنطِّعون » .

---

(١) الصمت وحفظ اللسان ص٩٧ ، ٩٩ .

قالها ثلاثًا . رواه مسلم .

والمتنطّعون هُمُ المبالغون في الأمور ، المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم . وقال رسول الله ﷺ : « سيكون قومٌ يأكلون بألسنتهم ، كما تأكل البقرةِ من الأرض »[١].

وقال ﷺ : « إن الله عز وجل يُبغِض البليغَ من الرجال ، الذي يتخلَّل بلسانه تخلُّلَ البقرة بلسانها »[٢] .

وعن جابر رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن من أحبِّكم إليَّ وأقربكم منّي مجلسًا يومَ القيامة ؛ أحاسنكم أخلاقًا ، وإن أبغضكم إليَّ ، وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة ؛ الثرثارون والمتشدِّقون والمتفيهقون » . قالوا : قد علمنا الثرثارون والمتشدِّقون ، فما المتفيهقون ؟ قال : « المتكبِّرون » .

وقال ﷺ : « إن من شرار أمتي الذين غُذُّوا بالنعيم ، الذين يطلبون ألوانَ الطعامِ وألوان الثياب ، يتشدَّقون بالكلام »[٣].

وعَالي الهِمَّة ليسَ بالفاحِش ولا بالبذيّ :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ليس المؤمن بالطعَّان ، ولا باللَّعَّان ، ولا بالفاحش ، ولا بالبذيّ »[٤].

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما كان الفحش في شيء إلا شانه ، وما كان الحياء في شيء إلا زانه »[٥].

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد ، والترمذي وغيرهما ، وهو في الصحيحة برقم ٤٢٠ .

(٢) أخرجه أبو داود ، والترمذي وغيرهما ، وهو في الصحيحة برقم ٤٢١ .

(٣) أخرجه أحمد في « الزهد » ، وابن أبي الدنيا ، والبيهقي في الشعب من حديث فاطمة ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة برقم ١٨٩١ .

(٤) رواه البخاري والترمذي والحاكم وابن حبان .

(٥) صحيح : رواه أحمد ، والترمذي ، وابن ماجه ، والبخاري في الأدب ، وابن =

وعن أنس رضي الله عنه قال : « ما مسستُ ديباجًا ولا حريرًا ، ألين من كفِّ رسول الله ﷺ ، ولا شممتُ رائحة قطُّ ، أطيبَ من رائحة رسول الله ﷺ ، ولقد خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين ، فما قال لي قطُّ : أُفٍّ ، ولا قال لشيء فعلْتُه : لِمَ فعلْتَه ؟ ولا لشيء لمْ أفعلْه : ألَا فعلْت كذا !! » . متفق عليه .

وعند الترمذي : « وكان رسول الله ﷺ مِن أحسن الناس خُلُقًا ، وما مسستُ خزًّا قطُّ ولا حريرًا ولا شيئًا ، كان ألْيَن من كفِّ رسول الله ﷺ ، ولا شممتُ مِسْكًا قطُّ ولا عطْرًا ، كان أطيب من عَرَقِ رسول الله ﷺ » .

وعن أبي عبد الله الجدلي قال : سألتُ عائشة عن خلُق رسول الله ﷺ ، فقالت : « لم يكن فاحشًا ولا متفحِّشًا ، ولا صَخَّابًا في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح »(١) .

لم يكن فاحشًا : أي ذا فحش . ولا متفحِّشًا : أي متكلِّفًا فيه ومتعمِّدًا .

قال القاضي : نفَتْ عنه تولِّي الفحش والتفوُّه به ، طبْعًا وتكلُّفًا .

وقال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله تعالى يُبغض الفاحِشَ المتفحِّش »(٢) .

عن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه قال : كنتُ عند النبي ﷺ قاعدًا وأبي أمامي ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الفُحْشَ والتفحُّش ليسَا من الإسلام في شيء ، وإنَّ أحسنَ الناس إسلامًا أحاسِنُهم أخلاقًا »(٣) .

= حبان عن أنس ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٥٣١ .

(١) صحيح : رواه الترمذي في سننه وفي الشمائل ، والطيالسي ، وابن حبان ، وأحمد ، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم ١٦٤٠ .

(٢) صحيح : رواه أحمد في مسنده عن أسامة بن زيد ، وأحمد وابن حبان عن ابن عمرو ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٨٧٣ ، والإرواء ٢١٩٢ .

(٣) إسناده صحيح : رواه أحمد في مسنده ٥/٨٩ ، وابن أبي الدنيا في الصمت ، =

وقال الأحنف بن قيس : ألا أخبركم بأدوإ الداء : اللسانُ البذيء ، والخلُق الدنيء .

فهذه مذمَّة الفُحْش .

فأمَّا حدُّه وحقيقتُه : فهو التعبير عن الأمور المستقبَحَة بالعبارات الصريحة ، وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلَّق به ؛ فإن لأهل الفساد عباراتٍ صريحة فاحشة يستعملونها فيه ، وأهل الصلاح يتحاشَوْن عنها ، بل يُكنون عنها ويدلُّون عليها بالرموز ، فيذكرون ما يقاربها ويتعلَّق بها .

قال ابن عباس : إن الله حَيِيٌّ كريم يعفو ويكنو ؛ كنَىٰ باللمس عن الجماع .

فالمسيس واللَّمْس والدخول والصُّحْبة : كناياتٌ عن الوقاع ، وليست بفاحشة . وليس يختصُّ هذا بالوقاع ، بل بالكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط ، أولى من لفظ التغوُّط والخراء ، فإن هذا أيضًا ممَّا يخفَىٰ ، وكلُّ ما يخفَىٰ يُستحيَا منه ، فلا ينبغي أن تُذكر ألفاظه الصريحة ؛ فإنه فُحْش .

وكذلك يُستحسَن في العادة الكناية عن النساء ، فلا يُقال : قالت زوجتك كذا ، بل يُقال : قيل في الحجرة ، أو مِن وراء الستْر ، أو قالت أمُّ الأولاد ؛ فالتلطُّف في هذه الألفاظ محمود ، والتصريح فيها يُفضي إلى الفحْش .

وكذلك مَن به عيوب يُستحيا منها ، فلا ينبغي أن يُعبَّر عنها بصريح لفظها ، كالبَرَص والقرع والبواسير ، بل يُقال : العارض الذي يشكوه ، وما يجري مجراه ، فالتصريح بذلك داخل في الفُحْش ، وجميع ذلك من آفات اللسان .

= وقال العراقي في تخريج الإحياء : إسناده صحيح .

«قال العلاء بن هارون: كان عمر بن عبد العزيز يتحفّظ في منطقه ، فخرج تحتَ إبطِهِ خُراجٌ ، فأتيناه نسأله لنرىٰ ما يقول ؟ فقال : مِن أين خرج ؟ فقال : من باطن اليد »[1] .

وعالي الهِمَّة أبعدُ الخلْقِ عنِ السَّبِّ واللَّعْنِ :

أمَّا السَّبُّ :

قال رسول الله ﷺ : « مَن سبَّ أصحابي ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين »[2] .

وقال تعالى : ﴿ **والذين يُؤْذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقدِ احتملوا بُهتانًا وإثمًا مبينًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٨] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سباب المسلم فُسوق وقتالُه كفر » . متفق عليه .

وفي الحديث: «... وإنِ امرؤٌ سبَّكَ بما يعلم فيك ، فلا تسبَّه بما تعلم فيه ، فإن أجرَه لك ، ووَباله على مَن قاله »[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أُتي النبي ﷺ برجلٍ قد شَرِب[4] قال : « اضربوه » . قال أبو هريرة : فمنَّا الضارِب بيده ، والضارب بنعْله ، والضارب بثوْبه ، فلمَّا انصرفَ ، قال بعضُ القوم : أخزاك الله . قال : « لا تقولوا هذا ، لا تُعينوا الشيطانَ عليه » . رواه البخاري .

وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « أربىٰ

(١) الإحياء ص١٣١ .

(٢) صحيح : رواه الطبراني ، وأبو نعيم في الحلية ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة رقم ٢٣٤٠ .

(٣) صحيح : أخرجه أحمد ، وصحَّحه الألباني كما في السلسلة الصحيحة برقم ١٣٥٢ .

(٤) أي الخمر .

الرِّبَا : شتْمُ الأعراض »(١) .

وعن البراء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الربا اثنان وسبعون بابًا ، أدناها مثل إتيان الرجل أمَّه ، وإنَّ أربى الربا استطالةُ الرجل في عِرض أخيه »(٢) .

انظرْ إلى أدنى الرِّبا وأعلاه .. واتقِ اللهَ .. ما عسى يكون الأكبر إذا كان الأدنى بمثل هذه الصورة المستقْذَرة ؟!!.

وقال ﷺ : « سابُّ المسلم كالمُشْرِف على الهَلَكَة »(٣).

وقال ﷺ : « لا تُؤذوا مسلمًا بشتْم كافر »(٤).

وقال ﷺ : « لا تسبُّوا الأموات ؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما قدَّموا »(٥).

وقال ﷺ : « المستبَّان شيطانان ، يتهاتران ويتكاذبان »(٦).

بل ولسان عالي الهمَّة مطهَّر عن السبِّ مطلقًا ؛ سبِّ الدَّابَّة ، وسبِّ الرِّيح ، وسبِّ الديك ، وسبِّ الدهر ، وسبِّ الحُمَّى ، بل وسبِّ الشيطان ،

(١) صحيح : رواه الهيثم بن كليب عن سعيد بن زيد ، ورواه عبد الرزاق في الجامع ، والبيهقي في الشعب عن عمرو بن عثمان مرسلًا ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٨٨٥ ، والسلسلة الصحيحة رقم ١٤٣٣ .

(٢) صحيح : رواه الطبراني في الأوسط ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة رقم ١٨٧١ ، وصحيح الجامع رقم ٣٥٣١ .

(٣) حسن: رواه البزار عن ابن عمرو، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٥٨٦.

(٤) صحيح: رواه الحاكم والبيهقي في السنن عن سعيد بن زيد، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٧١٩١.

(٥) رواه أحمد والبخاري والنسائي عن عائشة .

(٦) صحيح : رواه أحمد والبخاري في الأدب عن عياض بن حمار، وصحَّحه الألباني في « الإيمان » لأبي عبيد، وصحيح الجامع رقم ٦٦٩٦ .

وسبِّ آلهة الزُّور .

عن عمران بن الحُصين رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، وامرأة من الأنصار على ناقة ، فضجِرتْ فلعنتْها ، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال : « خذوا ما عليها ودعوها ؛ فإنها ملعونة » . قال عمران : فكأني أراها الآن تمشي في الناس ، ما يَعرِض لها أحدٌ . رواه مسلم .

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال : بينما جارية على ناقة عليها بعض متاع القوم ، إذْ بُصَرتْ بالنبي ﷺ وتضايق بهم الجبل ، فقالت : حَلْ[1]، اللهمَّ الْعَنْها . فقال النبي ﷺ : « لا تصاحبْنا ناقةٌ عليها لعنة » . رواه مسلم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الريح من روح الله ، تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب ، فإذا رأيتموها فلا تسبُّوها ، واسألوا اللهَ خيرَها ، واستعيذوا بالله من شرِّها »[2] .

وعن زيد بن خالد رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « لا تسبُّوا الديك ؛ فإنه يُوقظ للصلاة »[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تَسبُّوا الدهرَ ، فإن اللهَ هو الدهر »[4]. رواه مسلم .

---

(١) حَلْ : كلمة تُقال لزجْر الإبل .

(٢) صحيح : أخرجه أبو داود ، وابن ماجه ، وهو في الكلم الطيب برقم ١٥٣ ، صحَّحه الألباني .

(٣) صحيح : رواه أبو داود ، وإسناده صحيح ، صحَّحه الألباني في المشكاة برقم ٤١٣٦ .

(٤) قال النووي في شرح مسلم : « أي : لا تسبُّوا فاعل النوازل ؛ فإنكم إذا سببتم فاعِلَها ، وقَع السبُّ على الله تعالى ؛ لأنه هو فاعلها ومنزِّلها ، وأما الدهر الذي هو =

وعن جابر رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ دَخَل على أمِّ السائب - أو أم المسيَّب - فقال : « ما لك يا أمَّ السائب - أو يا أمَّ المسيب - تزفزفين[1]؟ ». قالت : الحُمَّى ، لا بارك اللهُ فيها . فقال : « لا تسبِّي الحُمَّى ؛ فإنها تُذهب خطايا بني آدم كما يُذهِب الكِيرُ خبَثَ الحديد »[2] .

وقال رسول الله ﷺ : « لا تسبُّوا الشيطان ، وتعوَّذوا بالله من شرِّه »[3] .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ **ولا تسبُّوا الذينَ يدعونَ مِنْ دُونِ اللهِ فيسبُّوا اللهَ عَدْوًا بغيْر علْمٍ** ... ﴾ الآية [الأنعام : ١٠٨] .

وثبت عن علي رضي الله عنه ؛ أنه سُئل عن قول الرجل للرجل : « يا فاسق » ، « يا خبيث » ، قال : « هُنَّ فواحشُ ، فيهنَّ تعزير ، وليس فيهنَّ حدٌّ »[4] .

وأمَّا اللَّعْنُ :

فقد قال رسول الله ﷺ : « إني لم أُبعَثْ لعَّانًا »[5] .

وقال ﷺ : « إني لم أُبعثْ لعَّانًا ، وإنما بُعِثْتُ رحمة »[6] .

= الزمان فلا فعل له ، بل هو مخلوق من جمْلَة خلْق الله ، ومعنى : « فإن اللهَ هو الدهر » : أي فاعل النوازل والحوادث ، وخالق الكائنات . والله أعلم » .

(١) تزفزفين : أي ترتعدين .

(٢) رواه مسلم ، والبخاري في « الأدب المفرد » .

(٣) صحيح : رواه المخلص ، والديلمي ، وتمَّام في فوائده ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة رقم ٢٤٢٢ ، وصحيح الجامع رقم ٧١٩٥ .

(٤) أخرجه البيهقي ، انظر : إرواء الغليل رقم ٢٣٩٣ .

(٥) صحيح: رواه الطبراني في الكبير عن كريز بن أسامة، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٥٠١ .

(٦) صحيح:رواه مسلم، والبخاري في الأدب عن أبي هريرة .

وقال ﷺ : « لا يكون المؤمن لعَّانًا »[(١)] .

وقال ﷺ : « أوصيك أن لا تكون لعَّانًا »[(٢)] .

وقال ﷺ : « لعْنُ المؤمنِ كقتْله »[(٣)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا ينبغي لِصدِّيق أن يكون لعَّانًا » . رواه مسلم .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن العبدَ إذا لعَن شيئًا صعِدت اللَّعْنة إلى السماء ، فتُغْلَق أبواب السماء دُونها ، ثم تهبط إلى الأرض ، فتُغلَقُ أبوابُها دونها ، ثم تأخذ يمينًا وشمالًا ، فإذا لم تجدْ مَسَاغًا ؛ رجَعتْ إلى الذي لُعِن ؛ فإن كان لذلك أهلًا ، وإلّا رجعتْ إلى قائلها »[(٤)] .

« واللعْن : إما لحيوان أو جماد أو إنسان ، وكُلُّ ذلك مذموم .

والصفات المقتضِية للَّعن ثلاثة : الكفر ، والبدعة ، والفِسْق . وللَّعن في كلِّ واحدة ثلاث مراتب :

الأولى : اللَّعْنُ بالوصف الأعمِّ ؛ كقولك : لعنةُ الله على الكافرين والمبتدعين والفَسَقَة .

الثانية : اللعْنُ بأوصاف أخصَّ منه ؛ كقولك : لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس . وعلى القدَرِيَّة والخوارج والرافضة ، أو على الزُّناة والظَّلَمة

---

(١) صحيح: رواه الترمذي والبخاري في الأدب عن ابن عمر، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٧٧٧٤ .

(٢) صحيح: رواه أحمد، والبخاري في التاريخ، والطبراني في الكبير عن جرموز بن أوس وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٥٤٢ .

(٣) جزءٌ من حديثٍ ، متفق عليه ، عن ثابت بن الضحَّاك .

(٤) صحيح : رواه أبو داود ، وروى أحمد نحوه ، وصحَّحه الألباني في « صحيح سنن أبي داود » برقم ٤٠٩٩ .

وآكِلي الربا . وكل ذلك جائز .

الثالثة : اللعْنُ للشخْص المعيَّن ؛ وهذا فيه خطَرٌ ؛ كقولك : زيدٌ لَعَنَهُ الله ، وهو كافر أو فاسق أو مبتدع .

والتفصيل فيه أنَّ كلَّ شخصٍ ثبتتْ لعنتهُ شرعًا فتجوز لعنته ، كقولك : فرعون لعنه الله ، وأبو جهل لعنه الله ، لأنه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر ، وعُرف ذلك شرعًا . وأما شخصٌ بعينه في زماننا ؛ كقولك : زيد لعنه الله - وهو يهودي مثلًا - فهذا فيه خطرٌ ؛ لأنه ربما يُسْلِمُ فيموت مقرَّبًا عند الله ، فكيف يُحكم بكونه ملعونًا ؟!

فإن قلتَ : يُلعن لكونه كافرًا في الحال ، كما يُقال للمسلم : رحمه الله ؛ لكونه مسلمًا في الحال ، وإن كان يُتصوَّر أن يرتدَّ .

فاعلمْ أن معنى قولنا : رحمه الله ؛ أي ثبَّته الله على الإسلام الذي هو سبب الرحمة ، وعلى الطاعة ، ولا يمكن أن يُقال : ثبّت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة ؛ فإن هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر ، بل الجائز أن يُقال : لعنه الله إن مات على الكفر ، ولا لعنه الله إن مات على الإسلام . وذلك غيب لا يدرىٰ، والمطلق متردِّدٌ بيْنَ الجهتيْن، ففيه خطر، وليس في ترك اللَّعْن خطر . وإذا عرفت هذا في الكافر ، فهو في زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى ، فلعْن الأعيان فيه خطر ؛ لأن الأعيان تتقلب في الأحوال إلَّا مَن أعْلَمَ به رسول الله ﷺ ، فإنه يجوز أن يَعلم مَن يموت على الكفر ، ولذلك عيَّن قومًا باللعن ، فكان يقول في دعائه على قريش : « اللهمَّ عليك بأبي جهل بن هشام وعُتبة ابن ربيعة »[1] . وذكر جماعةً قتلوا على الكفر ، حتى إنّ مَن لم يعلمْ عاقبته كان يلعنه ، فنُهِيَ عنه ؛ إذ إنَّه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في

(١) متفق عليه ، من حديث ابن مسعود .

قنوته شهرًا ، فنزل قوله تعالى : ﴿ **ليسَ لك مِن الأمْرِ شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنَّهم ظالمون** ﴾[١] . يعني أنهم ربما يُسْلِمون ، فمِن أين تعلم أنهم ملعونون ؟!

كذلك مَن بان لنا موته على الكفر جاز لعنه، وجاز ذمُّه إن لم يكنْ فيه أذًى على مسلم، فإن كان؛ لم يَجُزْ ... شَرِب نعمانُ الخمرَ فحُدَّ مرَّاتٍ في مجلس رسول الله ﷺ ، فقال بعض الصحابة : لعنه الله ، ما أكثر ما يُؤتَى به !! فقال ﷺ : « لا تكن عوْنًا للشيطان على أخيك » . فنهاه عن ذلك[٢] ، وهذا يدلُّ على أن لعْن فاسق بعينه غير جائز .

وعلى الجملة : ففي لعن الأشخاص خطرٌ فلْيُجتنَبْ ، ولا خطرَ في السكوتِ عن لعْنِ إبليسَ مثلًا ، فضلًا عن غيره .

والمؤمن ليس بلعَّان، فلا ينبغي أن يُطلق اللسان باللعنةِ إلَّا على من مات على الكفر أو على الأجناس المعروفين بأوصافهم ، دون الأشخاص المعيَّنين .

---

(١) حديث : أنه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرًا ، فنزل قوله تعالى : ﴿ ليسَ لك مِن الأمر شيء ﴾ أخرجه الشيخان من حديث أنس : دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحابَ بئر معونة ثلاثينَ صباحًا .. الحديث . وفي رواية لهما : « قنتَ شهرًا يدعو علىٰ رعلٍ وذكوان .. » .. الحديث . ولهما من حديث أبي هريرة : « وكان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ، يكبِّر ويرفع رأسَه ... : « اللهمَّ الْعَنْ لحيان ورعلا .. » الحديث . وفيه : « ثم بلغنا أنه ترَك ذلك لما أنزل الله ﴿ ليس لكَ من الأمْرِ شيء ﴾ » . لفظ مسلم .

(٢) للبخاري من حديث عمر : أن رجلًا على عهد رسول الله ﷺ كان اسمُه عبد الله ، وكان يلقَّب : حمارًا ، وكان يُضحك رسول الله ﷺ ، وكان قد جلده في الشراب ، فأُتي به يومًا ، فأمر به فجُلِدَ ، فقال رجل مِن القوم : اللهم الْعنْه ؛ ما أكثر ما يُؤتى به !! فقال النبي ﷺ : « لا تلعنوه ، فوالله ما علمتُ إلَّا أنه يحبُّ الله ورسوله » .

قال مكي بن إبراهيم : كُنا عند ابن عون ، فذكروا بلال بن أبي بردة ، فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه ، وابن عون ساكت ، فقالوا : يا ابن عون ، إنما نذكره لِمَا ارتكب منك . فقال : إنما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة : لا إله إلا الله ، ولعَنَ الله فلانًا ؛ فلأنْ يخرُجَ مِن صحيفتي : لا إله إلا الله ، أحبُّ إلي مِن أن يخرجَ منها : لعَنَ الله فلانًا .

ويقرب مِنَ اللَّعْن : الدعاءُ على الإنسان بالشرِّ ، حتى الدعاء على الظالم ، كقوْل الإنسان مثلًا : لا صحّح الله جسْمَه ، ولا سلّمه . وما يجري مجراه ؛ فإن ذلك مذموم [١] .

وعَالي الهِمَّة ينذُر منه المَزَاحُ ، ويتّبعُ هديَ رسول الله ﷺ فيه :

لقد كان رسول الله ﷺ يمزح ، لكنَّه لا يقول إلّا حقًّا ، ولا ينطق إلّا صدقًا ، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا : يا رسول الله ، إنك تُداعبُنَا ؟ قال : « نعم ، غير أني لا أقول إلا حقًّا »[٢] .

ولكنْ هذا على سبيل الندرة ، فقد كان النبي ﷺ كما وصفه جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه : « كان طويلَ الصمْتِ ، قليلَ الضَّحِك »[٣] .

وكثرة المزاح والإفراط فيه تؤدِّي إلى كثرة الضحك ، وقد قال ﷺ : « لا تُكثِرِ الضَّحك ؛ فإن كثْرة الضحِكِ تُميت القلبَ »[٤] .

---

(١) الإحياء ٣ / ١٣٢ - ١٣٥ .

(٢) رواه الترمذي في « الشمائل » ، وصحَّحه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية برقم ٢٠٢ .

(٣) حسن : رواه أحمد في مسنده عن جابر بن سمرة ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٤٦٩٨ .

(٤) صحيح : رواه ابن ماجه عن أبي هريرة ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة رقم ٥٠٦ .

أما المزاح الكثير ، فلا وألف لا ؛ فقد شاب عليه الناس ، وكأنهم قد رضعوه في المهد ، وفي مصائب الأمَّة ما يُغني عنه .

«فإن قلت: قد نُقِل المزاح عن رسول الله ﷺ وأصحابه، فكيف يُنهىٰ عنه ؟

فأقول : إن قَدَرْتَ على ما قدَر عليه رسولُ الله ﷺ وأصحابه ، وهو أن تمزح ولا تقول إلَّا حقًّا ، ولا تُؤذي قلبًا ، ولا تفرِّط فيه ، وتقتصر فيه أحيانًا على الندور - فلا حَرَجَ عليك ، ولكن مِن الغلَطِ العظيم أَنْ يتَّخذ الإنسان المزاحَ حرفَةً يواظب عليه ويُفْرِطُ فيه ، ثم يتمسَّك بفعْل رسول الله ﷺ ، وهو كمن يدور نهارَه مع الزُّنُوج ينظر إليهم وإلى رقصهم ، ويتمسَّك بأن رسول الله ﷺ أذِنَ لعائشة في النظر إلى رقْص الزنوج في يوم عيد ، وهو خطأ ؛ إذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالإصرار، ومِن المباحات ما يصير صغيرة بالإصرار ، فلا ينبغي أن يغفل عن هذا »[1] .

قال خالد بن صفوان : المُزاح سِباب النَّوْكَىٰ . قال : وكان يُقال لكل شيء بذْر ، وبذْرُ العداوة المزاحُ .

وعن محمد بن المنكدر قال : قالت لي أمي : لا تمازِحِ الصبيان ، فتهونَ عليهم .

وقال الأحنف بن قيْس : مَن كثر كلامه وضحِكُه ومزاحه ، قلَّت هيبتُه .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : مَن مَزح ، استُخِفَّ به .

وصدَق رسول الله ﷺ ؛ إذ يقول : « لو تعلمون ما أعلم لَبكَيْتُم كثيرًا ولَضحِكتم قليلًا »[2] .

---

(١) الإحياء ٣ / ١٣٨ .

(٢) متفق عليه من حديث أنس وعائشة .

وعَالي الهِمَّةِ متطهِّرٌ تمامًا عن بقيَّةِ حصائد الألسُن[١]:

عالي الهمَّة لا يقْرَب هذه الحصائد ويطهِّر لسانه عنها . ومِن هذه الحصائد :

١ - اليمينُ الكاذبة عمْدًا . **٢** - شهادة الزور . **٣** - القذف .

٤ - عدَمُ الستْر على المسلم . **٥** - البهتان والافتراء :

فلقد نظر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يومًا إلى الكعبة ، فقال : **ما أعظَمَكِ وأعظَمَ حُرْمَتَكِ ، والمؤمنُ أعظمُ حرمةً منك .**

٦ - الكذب . **٧** - النميمة . **٨** - الغِيبة :

قال خُصيف ، وعبد الكريم بن مالك : أدركْنَا السَّلَف ، وهم لا يرون العبادةَ في الصوْم ولا في الصلاة ، ولكن في الكفِّ عن أعراض الناس .

وقال الحسن : والله لَلْغِيبةُ أسرعُ في دين المؤمن من الأُكَلَة في جَسَدِه .

وقال عون بن عبد الله : ما أحسب أحدًا تفرَّغ لعيوب الناس ، إلَّا من غفلة غفلَها عن نفسه .

وكان سيِّدُ القرَّاء ميمون بن سياه لا يغتابُ ، ولا يدع أحدًا عنده يغتاب ؛ ينهاه ، فإذا انتهى وإلَّا قام[٢] .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلتُ للنبي - ﷺ -: حسْبُك من صفية - زوج النبي ﷺ - كذا وكذا - تعني أنها قصيرة - فقال النبي ﷺ : « لقد قلتِ كلمةً لو مُزِجتْ بماءِ البحرِ لَمَزَجَتْه »[٣].

---

(١) وقد أوردها وأحسَن وأطَالَ وأطيَبَ : الشيخ حُسين العوايشة ، التلميذ النجيب لمُحدِّث العصر شيخِنا الألباني ، في كتابه القيم : « حصائد الألسن » فلْتُراجَعْ.

(٢) الصمت لابن أبي الدنيا صـ ١٣٨ .

(٣) صحيح : أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما ، وصحَّحه الألباني في تخريج أحاديث =

٩ - إفشاء السِّرِّ . ١٠ - النفاق العملي لا الاعتقادي :

وهو أن يشابه عملُ المسلم عمَلَ المنافقين من غير استحلال له ، وما في ظاهره من نفاق ليس في باطنه ؛ إذا حدَّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصَم فجَر ، وإذا وعد أخلف .

لما حضرتْ عبدَ الله بن عمر الوفاة قال : إنه كان خطب إلَيّ ابنتي رجلٌ من قريش ، وقد كان مني شبهُ الوعْد ؛ فوالله ؛ لا ألقى الله بثُلثِ النفاق ؛ أشهدكم أني قد زوَّجته ابنتي .

١١ - السخرية والاستهزاء والتنابُز بالألقاب :

« قال عمرو بن شرحبيل:لو رأيتُ رجلًا يرضع عنْزًا فضحكت منه ، لَخَشِيتُ أن أصنع مثلَ الذي صنَع » .

وعن عبد الله بن مسعود : البلاء موكّل بالقوْل ، لو سخِرتُ من كلْبٍ ، لَخشيت أن أحوَّل كلبًا[١] .

قال ﷺ: « ما أحب أني حكيتُ إنسانًا ، وأن لي كذا وكذا »[٢] .

قال المناوي : « (ما أحبُّ أني حكيْتُ إنسانًا) : أي فعلتُ مثل فعْله ، أو قلتُ مِثل قوله ، منقصًا له . يقال : حكاه وحاكاه . قال الطيبي : وأكثر ما تُستعمل المحاكاة في القبيح » .

١٢ - مقاطعة الكلام :

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « إذ قلتَ

= الحلال والحرام ، برقم ٤٢٧ .

(١) القرطبي ٩ / ٦١٤٥ .

(٢) صحيح : أخرجه أبو داود والترمذي عن عائشة ، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود ، رقم ٤٠٨٠ .

للناسِ : أنصتوا . وهم يتكلَّمون ؛ فقد ألغيتَ على نفسك »[١] .

قال الألباني: «وفي هذا الحديث تحذير من الإخلال بأدب رفيع من آداب الحديث والمجالسة ، وهو أن لا يقطَعَ على الناس كلامهم ، بل يُنصِت هو حتى ينتهي كلامهم » .

١٣ - الغناء .

١٤ - أن يتحلَّى أو يتشبَّع بما لم يُعْطَ :

قال تعالى : ﴿ **لا تحسبَنَّ الذين يفرحون بما أتوا ويُحبُّون أن يُحمَدُوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازةٍ من العذاب ولهمْ عذاب أليمٌ** ﴾ [آل عمران : ١٨٨] .

وفي حديث أسماء : قال رسول الله ﷺ : « المتشبِّع بما لم يُعطَ ، كلابس ثَوبَي زُورٍ »[٢] .

والتشبُّع بما لم يُعْطَ في أمور الآخرة أشدُّ ذنبًا وأكثر إثمًا ، كالإفتاء بغير علْمٍ ، ليظهَرَ أنه عالم وأن علمه غزير .

١٥ - أن يخطب على خطبة أخيه حتى يَذَر . **١٦** - البيْعُ على بيْع أخيه . **١٧** - طلب الولاية ؛ فنِعْمَ المرضِعَة وبئْستِ الفاطمة . **١٨** - التعيير والتوبيخ . **١٩** - الدعاء على النفس والأولاد والأموال . **٢٠** - الخيانة في النصيحة . **٢١** - احتقار المسلمين . **٢٢** - قوْل العبد : هذا من أهل الجنة ، وهذا من أهل النار ؛ والتألِّي على الله تعالى . **٢٣** - الطعْن في الأنساب . **٢٤** - الفخْر بالأنساب . **٢٥** - أن يدّعي المرءُ إلى غير أبيه أو ينتمي إلى غير

(١) رواه أحمد ، وسنده صحيح على شرط الشيخين ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة برقم ١٧٠ .

(٢) متفق عليه .

مواليه . **٢٦** - الاستغفار للمشركين والكفار . **٢٧** - الفجور عند الخِصام. **٢٨** - القول : إني بريء من الإسلام. **٢٩** - المنّ بالعطية . **٣٠** - الهزل بالنكاح والطلاق والرجْعة والعِتْق . **٣١** - سبُّ الأموات . **٣٢** - النياحة على الميِّت . **٣٣** - القول : تعالَ أقامرْك . **٣٤** - القيل والقال. **٣٥** - البؤس والتّباؤس. **٣٦** - مخاطبة المنافق بسيِّد ونحوه . **٣٧** - المدْحُ في الوجْه . **٣٨** - التزكِيَة . **٣٩** - العوْدة في الصدَقة . **٤٠** - لفظة « لو » . **٤١** - الحَلِف في البيْع .

٤٢ - التحدُّث بتلعُّب الشيطان في المنام :

قال ﷺ : « لا يحدِّثنَّ أحدُكم بتلعُّب الشيطان به في منامه »[١] .

٤٣ - قول : تَعِسَ الشيْطانُ . **٤٤** - التحلُّم كاذبًا . **٤٥** - النذر في معصية الله . **٤٦** - قول : خبُثَتْ نفسي . **٤٧** - تسمية العنبِ كَرْمًا . **٤٨** - التكلُّم والإمام يخطب الجمعة . **٤٩** - نشْدُ الضالة والبيْعُ في المسجد . **٥٠** - قول : شاهنشاه ، للسلطان .

هذه بعضُ حصائد الألسن التي يبتعد عنها عالي الهمّة ، ويطهِّر لسانَه منها ، فضلًا عن :

٥١ - الفتوى بغيْر علْم . **٥٢** - والنذْر لغير الله تعالى . **٥٣** - دعاء غير الله تعالى . **٥٤** - الاستسقاء بالأنواء . **٥٥** - كفْر النعمة . **٥٦** - سؤال الكُهَّان والعرَّافين . **٥٧** - الحَلِف بغير الله . **٥٨** - الاستعاذة بغير الله . **٥٩** - قول : ما شاء الله وشاء فلان . **٦٠** - الحَلِف بالله كاذبًا . **٦١** - إنكارُ اسم من أسماء الله تعالى . **٦٢** - إنكار القدَر . **٦٣** - القول بالبدع[٢] .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) انظر إلى : حصاد الألسن لحسين العوايشة - طبع : دار ابن عفان .

٦٤ - الخَوْض في علْم الكلام وصفات الله على طريقة المتكلِّمين .

ورحم الله الجُنَيْد حيث قال : « إنكارُ العيبِ حيثُ يستحيلُ العَيْبُ : عيبٌ » .

فطريقة أهل السنة في الإثبات والنفي في الأسماء والصفات ، هي طريقة الذين جاءوا بكمال الأدب مع الله عز وجل .

* * *